

الشباب والبيئة الرقمية

من أجل أنثروبولوجيا للفضاء الافتراضي (Cyberspace)

أ. بشير بن صالح

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية،
جامعة تلمسان.

تقديم

صار وقتنا الحالي لحظة مرجعية لإحدى أكبر الثورات التي عرفتها البشرية، نحن شهود عيان لحدث تاريخي اجتماعي متميز ! حيث أصبح الإنسان أمام محيط رقمي، متعاملا مع المصنعات والآلات والمعلوماتية، خاضعا لمعرفة جديدة التي هي حصيلة تطورات التي غيرت منحى فكره ومساره.

يعتبر هذا العصر، عصرا للوسائل، الاتصال والتقنيات الحديثة، سببها التطور التكنولوجي وتدفق المعلومات، فالتكنولوجيا الرقمية للاتصال هي شكل من أشكال تفوق عقل الإنسان المفكر والذات العارفة، فبعد الـ "أموسايان" الذي كان يحاول التحكم في الأجناس الحية، والـ "أموفايير" الذي يتقن الآلات المصنعة، والـ «أموايكونوميكوس» الممارس للأشكال الاقتصادية والمتحكم في الخيرات، هاهو بين فضاء هذا العالم "الإنسان التكافلي" الذي يحيا في انسجام مع الأساليب الحديثة والتكنولوجية المتطورة، فهو في «تفاعل وتداخل مع معطيات العالم والمحيط الذي يعيش فيه. نحن نشهد لوحدة تداوب وتعاون بين الإنسان، الآلات، شبكة المعلومات والمجتمع» (DE ROSNAY, J. 1995: 45)

لقد أدت العلوم الجديدة إلى فتح آفاق أخرى للإنسان، فقد تغير مفهوم الزمن وأصبح مرتبطا إلى حد كبير بوسائل الاتصال وبالتسارع التكنولوجي... زمن جديد بإيقاعات جديدة، تخضع لمعرفة جديدة ويأذن بانبثاق إنسان أسير المستقبل ومشهود بحبال التسارع والتقدم، هذا ما يسوغ ولادة هوية جديدة... !

يشكل الشأن الافتراضي جوهر التحولات التي تطبع هذا العصر، وبصرف النظر على أي حكم قيمة - إنها حركة تحول الإنسان الحالي عبر "نموذج" جديد للاتصال وهو الافتراضية. هذه الأخيرة تتجاوز حقل الإعلاميات والتواصل، هنا يتساءل (بول فيريليو) (PAUL VIRILLIO) هل نحن أمام ابتلاع رهيب للزمن/مكان ؟ (1988: 65) (VIRILLIO.P.)

تمثل وسائل الاتصال وعلى رأسها شبكة "الأنترنيت" أداة ومسرحا للهجرة المكثفة لقطاعات الواقع إلى العالم الافتراضي، ونركز هنا على مجتمع الشباب، الذي تملك هذه التقنية. فمع الهاتف والحاسوب يشهد الجسد البشري وحواسه دخولا في شبكة من التواصل والتقلات وصار من الصعب تحديد هذا الجسد باعتباره وحدة

مادية محصورة في الزمان والمكان، إذ ثمة من يقول اليوم بضرورة الحديث عن "الجسد المتشعب" على غرار ما يتم الحديث في حقل الإعلاميات عن "النص المتشعب" « الذي هونص غير خطي، أو مجموعة من العقد المرتبطة فيما بينها عبر التداعيات بارتباطات مرئية، تتيح السفر والتقل من معلومة لأخرى » (GRAS, A. 2002:35).

يتكلم (ميشال مافيسولي) (MICHEL MAFFESOLI) حول ميلاد عالم واسع الخيال "يخترق الإنسان الصورة، فالخيال أو المتخيل والرمزي واللامادي، تبشر بظهور أشكال جديدة للإتصال بين الأفراد" (MICHEL. M. 1993:78) عن طريق الحوار المباشر بواسطة الحاسوب، جاعلة "الأنترنيت" عاملا لنشر مجموعة من الأفكار والرؤى التي تدخل الممارسين في سياقات غير متناهية من المعلومات، فالصورة والنص عنصران أوليان لتلاحم المجتمع الافتراضي.

أمام هذه الظاهرة الاجتماعية الجديدة، في وعاء ومحيط افتراضي يبني الأفراد ممارساتهم الاتصالية، وبدخلهم في حركة تفاعلية متميزة، أخذت تتموحيها اجتماعية في وعي الممارسين عبر فضاءات "الحوار الإلكتروني" التي تأخذ أشكال من التصرف والتفكير والإحساس خارجة عن الفرد.

ان المشاركة في مجموعات الحوار الإلكتروني، تتقاسم كل العناصر التي تبني عليها الظاهرة الاجتماعية، بإدخال المعايير والضوابط التي يجب أن يتحلى بها الممارس للأنترنت، منتجة بذلك معايير اجتماعية وفضاءات رمزية التي تتحكم وتوجه المستعملين، ذلك أن النص الإلكتروني الذي يتوضع الآن داخل وسائل الاتصال الجديدة والذي غدا يتحرك عبر مساراتها المعقدة والمتشابكة، بلا قيود ولا حواجز، ليجسد اليوم أداة ثورية تؤثر بعمق على العمليات العقلية العليا للإنسان وتجلياتها.

يملك الفضاء وسائل حياته المستقلة عن الفرد ومُشكلا تماما على شاكلة النموذج الفيزيائي، بالإضافة يعتمد مفهوم "الواقع الاصطناعي" كأداة اتصالية، على فكرة مجردة حول الفضاء، تتلاقى مع المعلومة الموجودة في ذات اللحظة تحت تصرف المشتركين.

نريد في هذه الدراسة أن نحلل ونفسر ونؤول سؤال الأنترنيت وتملك الشباب لمواقع "الحوار الإلكتروني"، هذا الشباب الجزائري في متخيل المجتمع هو الحامل للقيم والمعايير المؤسسة لهذا الأخير. إن المجتمع بمؤسساته الأسرة، المدرسة، الجامعة...تتظن نتائج وثمرات تشبثها، لكن الواقع والمعاش اليومي للشباب أنتج العكس فالشباب كما ذكرنا تملك بيئة جديدة عالم بلا حواجز بدون طابوهات .

يعد الواقع الافتراضي أبرز مبتكرات العصر، ففيها يبرز الاقتران بين الصورة والحاسوب، بين مخيال الوسائل القديمة والتلاعب التفاعلي للتقنيات المعلوماتية الجديدة.

إذن دخل الشباب في تشبُّه جديدة ، يمكن إن نطلق عليها " التشبُّه الإلكتروني" التي تحمل بداخلها معالم الإنسان الحر، الإنسان العالمي، الإنسان المغامر...عكس "التشبُّه التقليدي" التي تأسس للإنسان المحافظ الذي يعيد إنتاج ثقافة مجتمعه على الطريقة التي أنشأ بها.

تتداخل في تحليل مجتمع الشباب عدة معطيات، لا يمكن أن نتكلم عن شباب سنوات الثمانينات بالمفهوم السوسيولوجي، بما أن المفهوم يحمل معه رواسب تاريخية وثقافية.

فالشباب هو ظاهرة آنية للمجتمع الجزائري أين تجددت الانتظارات والمواقف والطقوس اليومية الحاملة معها أشكالاً من الخطابات الجديدة التي تبين لنا الطفرة النوعية التي يحياها الشباب في زمن الأنترنت وتكنولوجيات الإتصال عن بعد، وعن طريق هذه الوسائل الإلكترونية بدأ الشباب الجزائري ينسج حياته اليومية في ظل ممارساته المنتظمة حيث تموقع حول هذه البيئة الجديدة.

فعلى أي أساس تتشكل المجموعات الحوارية ؟ وبماذا تتميز هذه العلاقات في الفضاء السيبري؟ وكيف تتكوّن الجماعة الافتراضية في الفضاء السيبري ؟ ماهي التصورات التي يقدمها الفاعلون لمواقع الحوار الإلكتروني؟.

من أجل فهم دراسة الظاهرة قمنا بإجراء مقابلات مع الشباب لمحاولة فهم الخطابات حول هذا الواقع الجديد فوظفنا تقنية الملاحظة بالمشاركة لعملية "الحوار الإلكتروني المكتوب" ومحاولة تأويل الخطاب الجاري على الشاشة. هذه التقنية ساعدتنا على توظيف التحليل التفاعلي في مجال التخاطب الإلكتروني، فأصبحنا فاعلين ضمن هذه المجموعات وكنا نتقاسم معهم هذا الفضاء الحوارية، فإن مفهوم الملاحظة ارتكز على ملاحظة النص المكتوب ما بين الممارسين وهذه التفاعلات النصية حللناها واستخلصنا معانيها ضمن هذه البنية الاتصالية الجديدة.

يشير مفهوم الاتصال إلى العملية التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين يختلف من حيث الحجم ومن حيث محتوى العلاقات المتضمنة فيه، بمعنى أن هذا النسق الاجتماعي قد يكون مجرد علاقة ثنائية نمطية بين شخصين أو جماعة.

فانتقال المعاني بين الأفراد هو الذي يحدّد العملية الاجتماعية، بل يحدّد جميع الأشكال المجتمعية حيث يصبح بقاء الحياة الاجتماعية واستمرارها متوقفاً على انتقال الرموز ذات المعنى وتبادلها، وهنا فإن الاتصال هو العملية الاجتماعية الأساسية التي تكون المعاني والأفكار فيها مؤثرة.

تتطوّر أساليب الاتصال وفقاً لظروف الجماعات كحجمها وتوزيعها المكاني فالمجتمعات البدائية تهتم بمسائل تتخذ قراراتها في نطاق جماعات صغيرة، ويرجع ذلك

إلى طبيعة علاقات المواجهة، وأساليب الإشارات الخاصة بنقل المعاني والرموز، إلا أنه قد حدث اتساع في المجال الانتشاري للمعلومات والأفكار نتيجة لتطور وسائل حديثة للاتصال كالانترنت.

1. الاتصال والأنساق اللغوية الرمزية:

يرتبط الاتصال بنسق الإشارات والإيماءات وبالأنساق اللغوية، فهذه الأخيرة هي المجال الأساسي الذي تستقي منه عملية الاتصال رسائلها وتفهم في ضوءها المعاني المختلفة لهذه الرسائل، ونقصد بالإشارة أو الإيماءة كل حركة جسمية، أو حركة مكتوبة بشكل اكتسبت معنى خاصاً وتتضمن شكلاً من أشكال الاتصال، إلا أن أغلب هذه الإشارات لا تقف من حيث مضمونها عند المستوى الفردي، وإنما تتدرج تحت أنساق ثقافية بالدرجة الأولى ومن هنا فإن الإشارة تأخذ أبعاداً تختلف في إطارها الزماني والثقافي للجماعة وللأفراد. وعند هذه النقطة نستطيع أن نقول أن لكل مجتمع ولكل جماعة إطاراً ونموذجاً اتصالياً يتفق ويتكامل مع النموذج والإطار الثقافي الخاص به. وإذا نظرنا إلى اللغة فإنها تسمو على الإشارات وذلك بحكم نطاقها ومداها ومعانيها الخاصة المحدودة، فالإشارة هي بمثابة شكل اتصالي مساعد بدائي، أما الكتابة تساعد وتلعب دوراً في حفظ الأشكال اللغوية، فحصول الإنسان من اللغة تحدد نطاق تفكيره، فالإنسان يكتسب كلمات، وهنا يتعلم المعاني والأفكار والمفاهيم.

2. الأنماط المختلفة للاتصال:

إن انتشار المعلومات والأفكار وتبادلها بين الناس لا يأخذ شكلاً أو نموذجاً واحداً، ومن الممكن أن نصنف أنماط الاتصال في ضوء العمليات الأساسية الأولية، أي أن هناك أساليب فنية أولية، عالمية الانتشار من ناحية وأساليب فنية ثانوية تسهل عملية الاتصال من ناحية أخرى، ومن هذه الزاوية يمكن تصنيف الإشارات واللغة والكتابة بوصفهما أساليب أولية، فالكتابة تسهل انتقال اللغة والأشكال الرمزية الأخرى وتمكن الوسائل الفيزيائية من تنقل الرموز الصورية والتي دخل الإنسان في تحليلها وتأويل المعطيات الرمزية، وعليه من الممكن أن نصف أنماط الاتصال في ضوء العمليات الأساسية إلى:

نمط اتصال أولي وهويشير إلى ذلك الأسلوب الذي تتم فيه عملية انتقال الأفكار والمعاني في إطار علاقات أولية وهذا النمط من الاتصال هو الاتصال "وجه لوجه".

أما النمط الثانوي يشير إلى الأسلوب الذي تنتقل به الأفكار والمعلومات بين الناس ومن أشخاص إلى أشخاص آخرين دون أن يكون هناك تفاعل فيما بينهم.

3. الاتصال والمجتمع:

"إن ماهية ما ندعوه اليوم بالعلم هو البحث، فيما تكمن ماهية البحث ؟ إنها تكمن في أن المعرفة قد استقرت بذاتها من حيث هي استقصاء لأحد ميادين الوجود، قد يكون هو الطبيعة أو التاريخ، والاستقصاء هنا ليس مجرد خطة ومنهاج، إذ إنه يفترض بالضرورة وجود مجال منفتح لا تصير حركة البحث ممكنة إلا بداخله" (هايدغر، م. 1995: 141).

لقد آثرنا فلسفة (هايدغر) (HEIDEGGER) لنصل إلى القول أن أول ما يجمع عليه علماء الاجتماع والإعلام والفلسفة، هو اعتبار أن الاتصال هو أساس تكوين المجتمع الذي قام على قاعدة من العلاقة الجدلية التي نشأت بين الإنسان وبين محيطه المادي، ومن ثم الروحي، أي على قاعدة علاقته الدائمة مع الآخر.

فالإنسان كان يعيش في عزلة عن الآخرين من جنسه، حاجاته بدأت غرائزية غير واعية، إلى أن صارت اجتماعية مكتسبة واعية وهادفة إلى الاتصال بأبناء جنسه من أجل التكاتف والتعاون داخل وحدة بشرية غير منتظمة في البداية، لا تقسيم للعمل فيها، ثم أخذت تتوسع مع الزمن لتصبح أكثر تنظيماً لتشكّل لاحقاً مجتمعاً متوازناً بتقسيم الأدوار والمهام، وفي سياق الاتصال بين الأفراد وبين المجموعات في المجتمع نشأت علاقة اجتماعية بين الفاعلين في الاتصال مكنتهم من تنسيق الأعمال والنشاطات فيما بينهم، ويجري الاتصال عملياً من خلال تبادل معلومات اجتماعية، والمعلومة الاجتماعية هي التي تكون أولاً مضمون الاتصال.

يعرف (دومينيك فولتون) (DOMINIQUE WOLTON) الاتصال بأنه "أبرز رموز القرن العشرين وهدفه الأمل هو تقريب الناس والثقافات، يعوّض عن مساوئ وسلبيات عصرنا، وهو أحد محصلات حركة التحرر وقد رافق تطوّر المعارك من أجل الحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية" (WOLTON, D, 1997: 13).

إن الأمر لا يتعلق إلا بالتبادلات السريعة والمتفاعلة ومنخفضة التكاليف، فهي تنمي الاتصال بين البشر، ومما يصعب الأمر أن كلمة "الاتصال" هي ذات أصول ودلالات عديدة من الصعب التحكم فيها "فهي تبعث إلى معاني متعددة خصوصاً في المجتمع الحديث حيث الانفتاح والتبادل المتواصل وهي في قلب التجربة الفردية والجماعية أكثر من الإعلام أو الحرية أو الديمقراطية أو الهوية الثقافية أو غيرها.

ومن خلال نظرة تحليلية إلى العلاقات ما بين التواصل والمجتمع يمكن تمييز مهام الاتصال ومحدداته.

أ - إن الاتصال هو وقبل كل شيء "تجربة أنثروبولوجية" أساسية، فالتواصل بالغريزة يعني التبادل مع الآخر. بمعنى آخر ليس هناك حياة فردية وجماعية بدون اتصال ومن خاصية كل تجربة شخصية وكل مجتمع أن يحدد لنفسه قواعد الاتصال

فيه، فالاتصال هودائما حقيقة ونموذج ثقافي معا، لأن الاتصال يعني النقل وأيضا التفاعل مع الفرد أو الجماعة.» إن فعل الاتصال يختصر في الواقع التاريخ الثقافي للمجتمع» (TEODOR. A, 1963:14).

ب. الاتصال هو أيضا مجموعة التقنيات التي أنتجت خلال القرن، فمن الاتصال المباشر التقليدي إلى الاتصال بالتحكم عن بعد، عبر الوسائط التقنية، ك(الهاتف، الراديو، والوسائل الرقمية) ومن هنا فإن التفاعل هو القاسم المشترك لعملية الاتصال، وهي اللحظة التي تتقاسم فيها المعطيات الحسية والوجودية بظهور "الأنترنيت".

وعليه أصبح الاتصال حاجة اجتماعية عملية، فإن الأنظمة التقنية هي مسائل كلها منفتحة ومتفاعلة، متمثلة في الحواس والشبكات الإلكترونية، لا علاقة لها بنموذج الاتصال الموحد، فالاتصال العالمي عبر الشبكات الرقمية هو شكل جديد وأنموذج آخر للعملية الاتصالية بين الأفراد.

ومن هنا يعرف (لياند براون) (BROWN LEAND) الاتصال بأنه "نقل وتلقي للحقائق والآراء، والشعور والاتجاهات والإحساس، وطرق الأداء والأفكار بواسطة رموز من شخص إلى آخر وإن الاتصال هو أداء العمل المقصود مع خلق شعور وإحساس بأهمية الأداء (محمد ياسين.ع , 1971:239) ويذهب (جيرينر) (GERBNER) في تحليله للاتصال "أنها العملية التي يتفاعل بها المرسلون والمستقبلون في سياقات اجتماعية معينة" (حيدر ف , 1994: 57).

4. خصائص الاتصال الاجتماعي:

يتم الاتصال الإنساني حينما يندمج فيه المشتركون ويظهر فيه الإصغاء والانتباه والتفاعل والملاحظة، والاتصال في العلاقات المتبادلة ضروري لتكوين العلاقات مع الآخرين والحفاظ عليها، فالاتصال يعني التفاهم وتبادل الرسائل بين طرفين يشتركان في علاقة اجتماعية وقد تكون مستمرة، طويلة أو مؤقتة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالاتصال يعني قدرة فردين على الاتصال بعلاقة، فهما على هذا يشتركان في نظام اجتماعي واحد، ويستخدمان لغة ومدرجات مشتركة، وإن الاتصال بينهما يجعل منهما جماعة سواء كانوا فردين أم أكثر وعن المعلومات التي تتضمنها أية رسالة متبادلة لها مظاهرها الصريحة ومظاهرها الضمنية.

وعلى هذا فقد يحمل الاتصال عددا من المعاني بالإضافة إلى ما يقصده المصدر مما يقوي من محتوى الرسالة. فالاتصال الاجتماعي يحدد هوية الآخرين، فالهوية هنا هي هوية الفرد ووظيفته، ومركزه الاجتماعي وميوله واهتماماته وما إلى ذلك. هذه المعلومات الهامة هي التي سوف تحدد أسلوب الاتصال، فتكون هنا المعلومة هي الحد المشترك والرابط بين الاتصال القائم الناتج عن هذا التبادل والتفاعل.

فالمعلومة المستقاة من القراءة، الملاحظة والإصغاء للآخر تؤثر في الاتصال المتبادل بين الفاعلين الاجتماعيين. هذا ما سوف نلاحظه ونستشف معانيه ضمن التكنولوجيا الحديثة للاتصال أين أصبح الإنسان يتصل بالآخر عبر الشبكات المتمثلة في الحواسيب الإلكترونية.

5. الأبعاد الاجتماعية والنفسية للاتصال:

أ. الأبعاد الاجتماعية

عندما نتعرض للأبعاد السوسيولوجية للاتصال نقرر أن المجتمع الإنساني لا يستطيع الحياة دون اتصال، كما أن الاتصال لا يمكن أن يحدث إلا من خلال نسق اجتماعي، ولقد عبر (تشارلز هورتون كولي) (CHARLES HORTON COOLY) ضمنا عن ذلك حينما قدم مفهوم الاتفاق أو الاجتماع، حيث ذهب (جورج هربرت ميد) (GEORGE HERBERT MEAD) على أن عملية الاتصال لا يمكن أن تقوم وأن تحدث في حد ذاتها ولكنها تحدث كافتراض مبدئي للعملية الاجتماعية وفي المقابل تعد العملية الاجتماعية افتراضا مبدئيا للاتصال الممكن.

نستشف من هذه النظرة انعكاسا للاهتمام السوسيولوجي الأمريكي بموضوع **الثقافة** للجماعات المختلفة، ومن هنا فإنه كان من مهام المدرسة الأمريكية إدماج هذه الجماعات في النسق القيمي الكلي السائد، هذا علما بأن علم الاجتماع المبكر قد وجه اهتماما كبيرا للاتصال الشخصي الأولي باعتباره وسيلة لعملية الربط والإذابة. الاتصال له وظيفة هامة في مجال التكامل أو التشابه الثقافي على المستوى الاجتماعي، حيث اهتم السوسيولوجيون بالقوة الرابطة للاتصال وأثرها الاجتماعي.

إن معظم البحوث التقليدية تركز الضوء حول حركة الرسالة بين المرسل والمستقبل وحول استجابة المستقبل لهذه الرسالة باعتبارها إحدى المؤثرات كما تركز أيضا على الجهود التي يبذلها المرسل لتتبع محتوى الرسالة ومضمونها وتتبع المستقبلين باعتبارهم جمهورا لا تقوم بينهم صلات معينة، بحيث أن هذه البحوث التقليدية تعد تنقيحا للعملية الاتصالية.

ب. الأبعاد النفسية للاتصال:

تعد الدوافع بعدا سيكولوجيا من أبعاد الاتصال الجمعي فهناك ارتباطا بين الإدراك وعلاقة المدرك بالبناء الاجتماعي وقد يميل الفرد إلى تبني الجماعة كمصدر للتوجيه في المواقف والقيم، فالفرد حسب النظرية الاجتماعية للاتصال لا ينتمي إلى جماعة واحدة بل هو ينتمي إلى جماعات متعددة ويمثل استخدام نظرية الجماعة المرجعية نقطة البدء لاكتشاف البناء الاجتماعي الذي يمكن الأفراد من الاستجابة لرسالة الاتصال.

وإلى جانب دراسات في الاتصال نجد هناك اتجاهًا مختلفًا يطلق عليه الاتجاه السوسيولوجي وقد بدأ هذا الاتجاه يستكشف البناء الاجتماعي الأكثر شمولًا كالتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية التي تحيط بالمستقبل. فإذا كان دور المستقبل يتأثر بقيم وأهداف الجماعات المرجعية فإن النظرة السوسيولوجية تعني وضع المرسل والمستقبل في ضوء جماعتها الاجتماعية التي ينتمون إليها وفي ضوء البناء الأكبر الذي يظم هذه الجماعات.

وعليه وبعد تحليل الأبعاد النفسية والاجتماعية للاتصال نلاحظ أن فهم الصلة الاجتماعية التي من خلالها ينتج الاتصال يتطلب صياغة وتكوين نموذج إجرائي ومن الواضح أن النظرة السيكلوجية والسوسيولوجية للاتصال تقدم فهما أوضح لتأثير الاتصال، فهي تدخل في اعتبار المتغيرات النفسية والاجتماعية التي يجر الاتصال وفقا لها ويمارس تأثيرا من خلالها وتلك هي النظرة التي سوف نتبعها في تبين عملية الاتصال ما بين الفرد والجماعة وفي سياق عملية جديدة لواقع اتصال وأنموذج معاصر ألا وهي تكنولوجيا الاتصال الحديثة.

6. الأنترنيت والخصائص الاتصالية الحديثة:

"الأنترنيت" هي وقبل كل شيء تجسيد لأشكال تطوّر الإنسان، فالفكرة تتمثل في توحيد كل الحواسيب وكل شبكات المواصلات اللاسلكية، وبذلك توفير الإمكانية لأي حاسوب في العالم الاتصال بأي حاسوب آخر في قارة الإنسان، وهذا بعدة تقنيات هي TCP/IP وهي اختصار لعبارة بالإنجليزية (Transmission. Control. Protocol/Internet. Protocol) الذي يمثل لغة أوبروتوكول الاتصالات الأساسية لشبكة الأنترنيت، وعليه فإن أي حاسوب إلكتروني متصل بشبكة الأنترنيت يمكنه استخدام البروتوكول TCP/IP ليتبادل المعلومات مع أي حاسوب آخر في العالم. يقوم البروتوكول بتجزئة الرسالة أو الملف إلى أجزاء صغيرة، كل جزء يسمى حزمة حيث تنتقل هذه الأجزاء بشكل مستقل عبر شبكة "الأنترنيت" لتصل إلى المكان المرسل إليه بشكل مرتب.

لقد بدأ العمل بهذه الشبكة عام 1975 كتجربة قامت بها وكالة المشروعات للأبحاث المتقدمة للدفاع (APRA) وهي اختصار لكلمة (Advanced Research Projects) التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية بهدف إنشاء نظام للاتصالات قادر على ربط جميع أنظمة الاتصالات المختلفة وبروتوكولاتها مع مكتب الدفاع الأمريكي (ARPANET). كان الهدف من هذه الشبكة أو النظام الاتصالي، هو السماح للحسابات الإلكترونية الأخرى تبادل المعلومات معها، وأن تبقى شبكة الأنترنيت قادرة على العمل حتى لو توقفت أي شبكة كمبيوتر متصلة بشبكة الأنترنيت.

شكلت الأنترنيت حلا عمليا لمشكلة كان حلها مستعصيا ألا وهو إيجاد طريقة مرنة وعالمية لتبادل المعلومات بين الحواسيب ذات مفاهيم مختلفة، وقد ظل العسكريون ثم الجامعيون الأمريكيون وحدهم المستعملين لهذا المقياس في تبادل المعلومات وفيما بعد أقدمت الشبكات ذات المقياس المخصص مثل "كمبيوسيرت" و"أمركيا أون لاين" (America on line) أدوات عبور تمكن من استخدام تقنية "الأنترنيت".

تحتل "الأنترنيت" موقعا استراتيجيا لتقديم صورة مسبقة عن وسيلة الإعلام الجديدة التي تطبع بداية الألفية بماتتيحة من توحيد للأجهزة والشبكات المعلوماتية ومن تجاوز لإمكانيات وسائل الإعلام التقليدية من خلال تقديم جملة من الخدمات، من بينها مواقع الحوار الإلكتروني. هذه الخدمة والتقنية أكثر مرونة تتيح للمستخدم التحدث بطريقة مباشرة مع مجموعة أفراد حول موضوعات مختلفة. تركز هذه التقنية على نموذج الكتابة الإلكترونية، ويأخذ النص إبعادا ودلالات تأويلية خاصة ما بين الأفراد الممارسين لهذه التقنية وهنا يكمن بحثنا.

7. الأنترنيت، أنموذج جديد للاتصال الحديث:

جوهر عملية الاتصال هو المشاركة في الأفكار والمعاني والمعلومات وذلك باعتباره نشاطا يهدف إلى تحقيق الذیوع وشیوع لفكرة أو موضوع أو نشأة قضية عن طريق انتقال المعلومات أو الأفكار أو الآراء الاتجاهات من شخص أو جماعة إلى أفراد أو جماعات باستخدام رموز ذات معنى تتطوي بداخله العمليات الفرعية وقد تختلف من حيث الأهداف، إلا أن المتغير هنا الذي يربطها جميعا هو أن العمليات الإتصالية تستخدم فنون الاتصال وتكنولوجياته في تحقيق الأهداف. فقد تطوّرت وسائل الاتصال وكذلك تقنيات المعلومات، وأخذت الوسائل الإعلامية تتجاوز الحدود التقليدية وأصبحت الشبكات الإلكترونية المسلك الرئيسي لكل تبادل على مستوى قارة الإنسان.

إنها ثورة تدفق المعلومات وانفجارها، واحتلت "الأنترنت" مكانا ضمن النسق الاجتماعي أين أصبح الإنسان في تفاعل مع هذه المعطيات الجديدة، فيما تعرف بتكنولوجيا الاتصال التفاعلي (Communication interactive) أو الاتصال متعدد الوسائط (Multi media).

يشهد الإنسان مزج للهااتف مع الحاسبات الإلكترونية فيما يعرف بأنظمة البريد الإلكتروني، أو مزجا بين الكتابة والحاسبات الإلكترونية فيما يعرف بأنظمة النص المنشعب والدخول في العالم الافتراضي والترحال عبر الشبكات لإيجاد مناطق للاكتشاف والجماعات للحوار.

غنى هذه الجهات وميزاتها الكلام المكتوب، الأيقونات (Icônes) والتبادلات الافتراضية تمخض عنه قانون جديد لقواعد الإتصال وتنظيم العلاقات في البيئة

الافتراضية ما بين الجماعات، التي أخذت البعد الإنفعالي العاطفي. (HERVEY P.L, 1995: 68)

تكمن السمة الكبرى لشبكات الحاسبات الإلكترونية (المعلوماتية) على أنها دمرت الحواجز الفيزيائية المادية كما أنها اقتلعت الأحكام الاجتماعية ما بين هذه الجماعات والأفراد، إنهم غير مرتئين، والاتصال يحدث عن طريق المخيال الفردي أو الجماعي ويذهب (بيار ليفي) (PIERRE LEVY) إلى حد القول بأن "...الاتصال يأخذ البعد الروحي ويحدث عن طريق الإحساس بالآخر والتفاعل معه. (LEVY.P; 2000:26)

وأخيرا فإن المعلومة عن طريق هذا الاتصال **التفاعلي** هو القاعدة الأساسية التي تبنى عليها العلاقة، فهناك من الذين يتعلمون مع الآخر في فضاء نقدي ومنهم من يحبذون الفضاء خاص (Intime) مبني على الصداقة والأنس والألفة (Intimité).

تبنى العلاقة في الشبكات بخاصية الرغبة (Désir) والهوى (Passion). هذه العلاقات متقاسمة كلها ما بين الممارسين للأنترنيت وللحوار الإلكتروني المباشر، هذه النوعية الجديدة للاتصال الاجتماعي تزخر معالمها بداخل الفضاء السيبري ذوالميزة الافتراضية، فكل الأفراد تحت هذا الفضاء مقتنعين بشخصية مختارة وبهويات متباينة فاسحين مجالا للحوار فيما بينهم دون أحكام وأعراف اجتماعية.

8. الأنترنيت وإعادة تعريف قواعد الاتصال الاجتماعي:

لكي نفهم جيدا ميكانيزمات الاتصال ما بين الأفراد وما هي التغيرات التي تطرأ على مستوى الفعل الاتصالي، من الأجدر أن نحلل قواعد الاتصال الاجتماعي كما طرحها (GERGEN) حيث يقول "يوجد خمس عوامل التي يمكن أن تلعب دورا هاما في إيجاد وخلق علاقة هي: القرب الفيزيائي، الظهور الفيزيائي، المحاكاة ما بين الأشخاص، الاعتبار الإيجابي والإعلام. (GERGEN.K, 1984:65).

سوف نرى وبموجب شبكات المعلوماتية أن العاملين الأوليان لا يدخلان ضمن هذا السياق وأن العلاقة تبدأ في معظم الأحيان عبر المحاكاة ما بين الأشخاص. إن فعل الظهور أو القرب حسب النفسانيين، فعل هام جدا. ومن هنا فإن الفرد أو الجماعة التي تسكن بالجوار، تشكل فيما بينهم روح التعاون ويمكن لهم عن طريق هذا التفاعل اليومي أن تخلق رابط زمالة أو صداقة.

9. الافتراضية، نحو التملك الجماعي للمكان اللامتناهي:

الافتراضية مرادف الفضاء السيبري، وهو عالم مصطنع أو صناعي ومختلق يتكون بعرض بيانات في فضاء مركب ثلاثي الأبعاد، يمكن للمستخدم التجول فيه من خلال إصدار أوامر للحاسوب، ويفرض هذا العالم متغيرات منطقية ويعوض بعض الأحيان الواقع كما هو في برامج المحاكاة وعليه فإن الافتراضية هنا تعتبر

كرحيل، وهي الانفعال من **الها والآن** (Ici et maintenant) ولا يمكن أن نوضح بدقة موقع جماعة الافتراضية بحيث تعتبر عناصرها رحل ومتفرقين ومتناقضين في موقعهم الجغرافي. يوضح "ميشال سيرس" (MICHEL SERRES) في كتابه الأطلس، موضوع الافتراضية كـ "خارجة عن المكان" ويعتبر الخيال والذاكرة والمعرفة نواقل الافتراضية التي جعلتنا نغادر المكان قبل الإعلام الآلي وشبكات الرقمية. (SERRES.M,1996:26)

فيمكن مجموعة افتراضية أن تنظم نفسها على أساس روابط مشتركة عن طريق أنظمة الاتصال وقد يجتمع أعضاؤها على أساس نفس مراكز الاهتمام ونفس المشاكل بحيث تصبح الجغرافية غير مرسومة الحدود، ولم تعد تشكل نقطة الانطلاق، فإن هذه المجموعة تنعش بالأهواء والنزاعات والصداقات، إنها تعيش من أي مكان مرجعي مستقر، إنها موجودة حيث وجود أعضائها المتقلين.

تعيد الافتراضية ابتكار وخلق ثقافة متنقلة وإظهار وسط للتفاعلات الاجتماعية التي يتم فيها تشكيل العلاقات. إن الافتراضية تنزع عن الجماعة صفة الإقليمية، فتجعلهم "خارج المكان" الفزيائي يفصلهم عن الفضاء الطبيعي أو الجغرافي وعن زمنية الساعة والمذكرات اليومية، ومرة أخرى إنهم غير مستقلين تماما عن الفضاء الزمني المرجعي لأنهم يجب عليهم أن ينضموا دائما إلى ركائز مادية تلك هي الافتراضية والواقع المتخيل...!

تتخذ الجماعة الافتراضية مكانا لها في هذا الفضاء السيبري، إنهم موجودون في كل مكان وفي تزامن، إنهم في «ديناميكية قبلية» يشغلون عن طريق الشبكات الإلكترونية بفضل النقل المباشر وأنظمة الحضور عن بُعد، وخاصة منها "الحوار الإلكتروني" مما يجعل منهم رحلا من نوع آخر، بدلا من اتباع خطوط الآثار والهجرة داخل مساحة معينة فإنهم ينتقلون من شبكة إلى أخرى ومن نظام مجاور إلى موال، تتغير الفضاءات وتتحول أمامهم وترغمهم إلى تَكُون متغاير، إنها الهويات الجديدة في زمن الافتراضية ! فالجماعات الافتراضية مجموعة من الأفراد التي تتكون عن طريق الافتراضية والذين يتقاسمون هذا الفضاء الرمزي المتملكين له وحبهم لهذا الفعل هو الذي يحدد حضورهم ومرجعياتهم.

الجماعات الافتراضية هي "تجمعات سوسيوثقافية" تظهر في الشبكات عندما يدخل عدد من الأفراد في حوار عبر مسارات متعاقبة ومتتالية وبذلك ينسجون علاقات إنسانية بداخل هذا "الفضاء السيبري" Cyberspace وعليه فتطوير العلاقة مع الآخر تستلزم حساسية وإدراك لهذا الأخير التي تتممها بالتدرج في الشبكة.

فمن هذا المنطلق يمثل الحوار نسقا من القيم، وعليه يكتسب الفرد معايير وقيم عن طريق التفاعلات والرموز المنتجة، التي يمكن أن نؤولها كتجربة إنسانية التي

انتجت بداخلها معارف جديدة، هذا الجديد الذي ظهر في "الثقافة السيبرية" التي تتشأ وتتطور في فضاء خاص وهو الفضاء السيبري التي تعيش فيه هذه الجماعات متحدة المكان، الأعراف والثقافات وفي غمار التفاعلات، تنتج قوة عمل جماعية وفردية داخلية لا تخرج عن نطاق الواقع الافتراضي للأفراد.

يفرض **الرباط الجماعي** متابعة وإرضاء الرغبة في اللقاء والاقتراب من الآخر، فالأمر يتعلق بالتحويلات العاطفية، القلق، الفراق، خوف ورغبة في أن واحد. التفتيش على التشابه والحاجة إلى الحب وأن يكون الآخر محبوبا، وتقييم الذات داخل الجماعة وبواسطتها، **فالمشاركة الجماعية** هي في الأصل طبيعة نرجسية في مناخ المجاملة المتبادلة حيث لا تكون "نحن" سوى لعبة أوهام للانعكاس وإثبات الشخصية ويمكن القول أن الرغبة والخيال في الجماعة هي أساس التبادل والتفاعل.

هذا ما سوف نتطرق إليه في العنصر الآتي وذلك في تبيان أنموذج جديد للتفاعل الجماعي في فضاء خاص وهو موقع الدردشة (Web chat).

10. الفضاء والمناطق الافتراضية - موقع الحوار الإلكتروني:

من وجهة النظر التطبيقية فإن - موقع الحوار الإلكتروني موجود على شكل قائمة من الأفراد المستعملين لهذا الموقع والذين يتلقون نفس الرسائل. هذه الرسائل والكلمات هي متزامنة وديناميكية، ويجب على المستعملين أن يمرروا بمراحل من أجل الدخول والمشاركة في جماعات الحوار، هذه التقنية تجعل كل فرد أوجماعه تقتني بيتا إلكترونيا وتعطي له عنوانا من أجل التعريف بهويتها وانتماءاتها، إنها "زمن القبائل الإلكترونية والرحل الجدد" (MAFFESOLIM, 1988:25)

يمثل موقع الدردشة مثالا نموذجيا للفضاء المتملك، فالممارسين لهذه الحدود الافتراضية ومناطقها يستعملون أدوات تساهم في جعل اللقاءات حسب الذوق والمزاج، حسب طبيعة المعرفة الذاتية والمعرفة الجماعية، فالأفراد يدخلون كلهم ضمن هذا السياق السوسيوثقافي وعالم رمزي متداخل الأدوار ومتعدد الهويات...

حقيقة هذه المحاكاة مع مميزات المناطق الواقعية الحقيقية ومع المعطيات الطبيعية للفضاء لها حدود، لكن المخیال الفردي أو الجماعي يكون تمثلات ويدخل البشر في شكل من تشبّه جديدة، مع روح متسعة الحدود "فالتقنية جعلت الحياة الجماعية في مواقع الدردشة ذات تعال وتجاوز للحدود الواقعية في الحياة المعاشة (EDWARD.H, 1969:154)" هذه التبادلات تحدث بداخل الجهات الإلكترونية عبر ما يسمى **بمناطق الخيال للثقافة الافتراضية**. نلاحظ هذا بفضل ظهور هذه التقنيات للاتصال. أخذ الأفراد بداخل المجتمع ينسجون طرق حياتهم الذاتية، ومعارفهم ورغباتهم في هذا الفضاء الرمزي الذي دخلوا فيه آملين أن يبسطون أعرافهم الخاصة،

ومشاكلهم الفردية على طاولة الافتراضية ووسيلة التقائهم هو هذا النص الإلكتروني عن طريق الحوار المباشر. تلك هي القواعد الاتصالية الجديدة لعالم الشباب الذين بنوه بتجاربهم اليومية بممارستهم للأنترنيت...! هذا المكان الذي يطلق عليه "الفضاء السيبري".

11. الشباب والممارسات اليومية:

معظم المستجوبين يأتون إلى هذا الفضاء السيبري للخروج من العزلة ومن الأحساس بالوحدة، وعليه فالرسائل الفورية والكلمات العابرة والممارسة اليومية المنتظمة هي لحظات للهجرة والترحال والسفر من واقع لآخر متخيل يجيب للانتظارات كما يقول هذا المتحدث:

"الأنترنيت طريق جديد لحياة جديدة، أخرجنا من العزلة نحن في سفر وترحال دائما هذا جميل" (طالب جامعي، 23 سنة).

إن نمووتعدد وتنوع (Diversification) النماذج في الأنترنيت تنتج معنى وأشكال هذا الرابط الاجتماعي الإلكتروني، فاستعمال الحواسيب في المنزل أو في أماكن الأنترنيت تمحي الحدود ما بين زمن العمل والترفيه وإمكانية الاتصال تُشغلي وتفجّر (Eclater) تلك الإكراهات الظرفية حسب الشباب المستجوب، "ففي هذه الاتصالات الجديدة عبر الزمن وفي الفضاء فإن تطوير آليات الجديدة لعملية الاتصال كموقع الدردشة الإلكترونية تساهم في تطوير وتنوع أشكال الحياة اليومية هذه التكنولوجيا جاءت لتُطعم هذه التبادلات المتزامنة وعليه أنتجت تقانية الفعل (Technicisation de l'action) من طرف الشباب الممارس للفضاء الاتصالي الإلكتروني، هذا عبر الممارسة الاجتماعية.

هذه الأفعال مترجمة عن طريق نوع من مهارة وكياسة في الحياة اليومية لهؤلاء الشباب، فالعلاقة التي تربط الممارسين مع الوسائل التقنية هي عبارة عن تلك التفاعلات مع مستويات الأنشطة الحوارية فالممارسة تظل فردية وخصوصية بكل ممارسة للأنترنيت.

الشباب ليس لديهم نفس النمط المعيشي والوجودي، كذلك ليست لهم نفس الممارسات الإعلامية والحوارية والثقافية، لكن الذي يجمعهم هو ذلك التملك الجماعي. إن الثقافة عند الشباب هي ثقافة متقلبة، هشة وحساسة، فدرجة السمع واستعمال الأنترنيت استبدلت بقراءة الصحف اليومية والكتب الدراسية، فهذه التحولات التي أدخلت على طرق القراءة يمكن أن يكون لها الأثر المباشر من جرّاء هذه الوسائل السمعية البصرية فالأنترنيت أنتجت أشكال جديدة من التمهين وعلاقات جديدة مع المعرفة والخيالي.

تتابعا لتأويلنا وتفسيرنا، فإن الشبكة ليست بالمعنى إقليمي، بالمفهوم الجغرافي، لكن الشباب يتصورونه على هذا الشكل، كما يحسون على أن الفضاء السيبري يساعدهم على سعة خيالهم والتقليل من الضغوطات النفسية، لكنهم يضلون أوفياء لمجالهم الثقافي حسب أهوائهم ودرجة المنفعة المتعلقة بهم.

"منذ أن تعرفت على هذه التقنية أصبحت أحس بالحرية وحب الحياة" (طالب، 22 سنة).

الأنترنيت هي تكنولوجيا تساعد على الاتصال، حاملة في طياتها أشكالا متميزة من التملكات الفردية والجماعية التي تؤشكل مهام الشباب في حياته اليومية. فالممارسة الاجتماعية أو الاستعمال الاجتماعي للأنترنيت يأخذ طابعا المنفعة العامة في تصورات الشباب وانتظاراتهم.

إن الدخول في الزمانية (Temporalité) تمكن من التفريق ما بين أشكال التواصل والوقت، يتمثل لدينا نوع من تطوير للاستراتيجيات التي تؤدي إلى تنظيم وتصميم للوقت، وممارسة الدردشة الإلكترونية هي معاشة في حياة الشباب "كطقس يومي". "الدردشة هي عالمنا نحن الشباب، فنحن نزور هذا المكان كما لوأنه مكان مقدس ونقوم بأملنا" (24 سنة، طالب جامعي).

هذه التسجيلات الزمانية والفضائية للممارسات الشبابية تؤكد على أن "ثقافة الشاشة" ترتبط مع ثقافة الشباب "هذه المعايير تجذب وتسائر تطور طرائق الحياة لهؤلاء الشباب في معانيها المغروسة في جذور العلاقات اليومية مع الأنترنيت، إذن فإن مجتمع الشباب هو فضاء، أين تلعب الجماعة دورا فعالا وتأخذ بعدا في تحديد الأذواق والترفيه ووقت الفراغ وهنا تشكل الشباب ضمن جماعات افتراضية من أجل البحث عن مهام وأدوار جديدة عبر هذا الفضاء السيبري والنصوص المتشعبة.

الشباب الممارس هم في اتصال دائم ويومي، في بحث مستمر على المعلومة المتزامنة وعن معرفة الآخر عبر الفضاء الافتراضي وعليه تنتج بعض الأحاسيس ومشاعر الانتماء لنفس المكان ونفس مرجعية الزمن. إن معظم الممارسين لديهم أكثر من بريد إلكتروني يدخل في حيز التبادل الثقافي والعلمي والاتصال مع الجامعات والإدارات، والعائلة والأقارب.

إن عملية الحوار على العموم هي ممارسة للترفيه والبحث عن فرص لإيجاد الذات الضائعة والعقل المفقود عبر الحياة اليومية، فهناك العائلة التي تمارس الضغوط، والدراسة كذلك، فالشباب يجدون في هذه الممارسة كحامل سيكولوجي في آخر اليوم، خاصة في الفترة الليلية أين تكون السكينة ويبدأ العقل في استرجاع قواه.

"الحوار هو المنبع الوحيد للهروب من جهنم الصباح، وإكراهات الأسرة، نحن شباب شبه ضائعين، نحن ندرس حقيقة، لكن ماذا ندرس، مشاكل في البيت وفي الدراسة ولا أحد يفهمك، إذن نهرب إلى مكاننا المحبوب". (23 سنة، طالب جامعي). فالفضاء السيبري هو هذا الإقليم الذي تحدث فيه هذه التفاعلات، فهناك تطوّر مشترك ما بين الأبعاد الواقعية والأبعاد الافتراضية. إن الفكرة المستوحاة بأن الافتراضية "هي كل ما أوجد بدون وجود له" إذن "فالاfterاضية والقوة والاستطاعة، هي في انسجام متبادل مع الواقع، فهي ليست ضد المتخيل بقدر ما هو عالم باستطاعته أن ينتج هذه القوة الحاملة معها الوجود عن بعد بدون المؤهلات الفيزيائية وعليه فالشباب في تملك هذا الفضاء الحوارية من أجل الدخول في تفاعل جديد، هذا التفاعل المرمز بالمجهول والأنس.

ان الفضاء السيبري الذي يمثله الانترنت هو فضاء مولود من رحم التقنية الرياضية للحواسيب والتقائه مع هذا الفضاء التخيلي العجيب الذي يحتوي على جغرافية الذكاء الموحد كما يرمز إليها "بينديكت" (BENEDIKT) "ففي اللاشعور الجماعي لكل ثقافة، هناك وجود لجغرافية الذكاء والأصناف، فالذاكرة الجماعية أوتخيل بائن، إقليم من النماذج والرسومات الأسطورية، رموز، ضوابط وحقائق هذه المستلزمات تترايط فيما بينها، ناتجة بذلك عن هذا الفضاء الحر الغالب عليه الطابع النفسي الشعوري" (BENEDIKT, K, 1991:35).

فالأنترنت بالنسبة للشباب ليس طريقا للسكن، لكن هو في حد ذاته غاية. معنى البناء هو سكن المكان وسكون المكان هو عملية تملك لهذا الفضاء، فغن طريق الإنجاز والبناء ينتج التجربة الفردية وتعم إلى الجماعة عن طريق هذا التفاعل الرمزي.

"نحن نحيا هنا ونعيش هنا ومن هنا نبني طريقنا نحو المستقبل..." (طالب 27 سنة)

وحسب "مارتن هايدغر" (Martin Heidegger) "فالبناء هو السكن وبعد السكن هناك فعل التفكير" (هايدغر، 1962: 120)، والتفكير هنا بالنسبة للشباب هو عملية الإحساس بالمكان وتملك الفضاء.

المسكن حسب "هايدغر" هو عملية وجودية بفضل أنا موجود، أنت موجود، كذلك أنا أسكن، أنت تسكن، إذن كينونة حياة الإنسان متصلة مع مكانه المسكون، وهنا فالفضاء السيبري هو بُعد جديد يعرف ميلادا جديدا، فالمشاركة في الحوار بهذا الفضاء والتفاعل لا يكون ما بين الأفراد وحسب بل، كذلك مع خلق أشكال هندسية جديدة للمكان الذي يحسون بأنهم في بيت جديد هذا هو التملك الجديد للمكان بهندسته السائلة، إنها هندسة لامادية، هندسة معتمدة على الأشكال والإضاءة، إنها علاقات متبادلة ما بين عناصر مجردة.

الخاتمة

الفكرة الموجهة لمسار هذه الدراسة هي ذلك المستوى المحلي للملاحظة هذه الممارسات الخفية الموجودة خارج القيم والمعايير الاجتماعية التي تؤسس هذه المعالم الجديدة للطقوس الرمزية عبر مواقع الحوار الإلكتروني. فالأنترنت كموضوع للدراسة فإنه يُبنى بفعل التأويل والتفسير لهذه الرمزيات الفردانية والجماعية لعملية التبادل والتفاعل الحر عبر المعطيات المقروءة التي تحمل الدلالات والمعاني.

في الفضاء السيبري كل فرد هومرسل ومستقبل، هذا الأخير متميّز بفعل الأسماء والهويات المتقلة، فالوجود الجماعي والفردى ليس وجودا في الفضاء الجغرافي أو الزماني أو الاجتماعي بل هذا الوجود مبني حول مراكز المنفعة أو المعنى أو المعرفة. الشباب الممارس لهذه التقنية الحوارية هو في تفاعل وفي علاقة متداخلة، إنهم في حياة جديدة في البيئة الافتراضية التي تمارس عليهم قهرا. ان الرابط الاجتماعي هو رابط انفعالي عاطفي وعليه تهيأ طريقة للوجود والتي تكون مقبولة من طرف الآخر عن طريق المعايير للجماعات الافتراضية، فيمكن أن نعتبرها معاملات أخلاقية وجمالية للروابط الاتصالية.

عدم مادية الفضاء السيبري هو الجوهر وموضوع للعيش والتصرف في الأساطير الواقعية ويمكن الدخول في هذا الفضاء الأسطوري، إلا عن طريق اتباع هذه الممارسات والقيام بالطقوس الاتصالية عن طريق الدردشة الإلكترونية. ان الوضعية الاجتماعية، المكان الجغرافي، العرق، ليست الأشكال المرجعية التي تبنى عليها الجماعات وتتشكل على أجوائها، فالشحنة الانفعالية هي القطب المؤسس، والعنصر المحدد للاختيار الجماعي والانتماء إلى الجماعة الافتراضية، كما أن الهوية في هذا المجال الجديد للاتصال ليست مفروضة، بل هي مبنية وشخصية بوعي ويمكن أن تستبدل وتتقلب باستمرار، إذا نشهد انزلاق منطقي للهوية نحو منطق الانتماء للمكان والجماعة.

يقدم المكان الافتراضي للممارسين الإمكانية لبناء البيت على المقاس، إنه الإحساس بالتملك لهذا المكان المسكون، فالشباب يعيش الوجود الرمزي ضمن هذه الحلقات، إنهم في تفاعل قريب/بعيد، هذا التفاعل عبر الشبكات للاتصال تترك الفاعلين أحرارا فهم بمثابة تلك القبائل الرحالة عبر الزمن والمكان أملين أن يجدوا ذلك البيت المعمور بالحُب والإحساس المتبادل ما بين الأعضاء، فوسائل الاتصال التفاعلية في الوقت المتزامن، تمكن وتقدم إمكانية بناء الشخصيات، الفاعلون يصنعون ويقدمون صفحات الويب واضعين أمام هذه المعطيات الحسية بعض الصفحات التي تساعد الممارس على الدخول ضمن هذه القبائل الجديدة وستكون هذا المكان، إنه مجال للتشاقف والتماثل.

يعيش الشباب مع هذه التكنولوجيا في تكافل، إنهم ترابط انفعالي وهذا التطور ساعدهم على جعل من حياتهم "صناعة فنية" هذه الوسائل الاتصالية الحديثة جعلت الزمن الواقعي ومنا سحرية هوزمن أسطوري أوجد الشباب الممارس للدراسة الإلكترونية في هذا البعد الزمني الجديد كل السمات التي تعطي المصادقية والقوة للزمن الأسطوري، فالوقت قابل لانعكاس يمكن أن نتحكم فيه بالخطابات أوبالصور الخادعة ذات الثلاثة أبعاد".

يمكن للشباب اليوم أن يلاحظ على الأنترنت تصوّر للوقت والميزات الأسطورية للعالم المتخيل. إن الفضاء السيبري عند هؤلاء الفاعلين، هوميدان لتطور الإنسان الجمالي، الذي يعطي لوجوده الصبغة الجمالية. وعليه فالتكنولوجيا الرقمية وعلى رأسها الحاسوب الشخصي ليس أداة للكتابة والحساب فقط، بل تشارك الأنترنت في إعادة تغيير العالم وإعادة جدولة معالمة، فقد أصبحت هذه الشبكة أداة لتقرب الأفراد والجماعات نحو العالم الأسطوري الأمل والخيالي.

وهكذا وعبر هذه المحطات المعرفية والمعالمة المملوءة بالانتظارات والانفعالات، كانت هذه الدراسة كفاتحة لإشكال جديد في بيئة جديدة، فالممارسين للأنترنت ظاهرة اجتماعية جديدة، معقدة للفهم، فالأنترنت مجال جديد ومشترك بين الجماعة أين بنيت تفردها وتمييزها عن طريق الكتابة الإلكترونية، مستعملة أنواعا من الرموز التي تحمل المعنى والدلالة، هذه الممارسة تنتج رابطا قوامه الأنس والطابع المجهول، فالفضاء السيبري أصبح مكانا مسكونا من طرف مجتمع الشباب الذي التف حوله وبدأ ينسج الخيوط ما بين الآخر. هذا الفضاء الأسطوري أصبح عملية منظمة للحياة الاجتماعية في هذا الزمن الافتراضي، أين امتزج الخيال والواقع الغريب والأليف الخارق والعادي، المرئي واللامرئي، إنه تحوّل وانتقال وسفر، يسافر الإنسان بين الأشياء وتساfer الأشياء بين الكلمات ويسافر المعنى بين الصور، وعليه فإن الوجود هو كذلك سفر واختراق للمكان (ادونيس: 85: 2002) وهي بداية التفاعل بين المعرفة والحقيقة والجمال، وتعد الحقيقة بين الكلمات ولا تُحسّ إلا بالاعتقاد والإيمان في هذا "المكان المقدس" الحامل معه المعاني والتصورات والانتظارات من طرف هؤلاء الشباب.

الأنترنت قدمت وأعطت لنا النص - خطوط ذات أبعاد - الويب أعطى لنا الصفحة، و"الحوار الإلكتروني" فتح البعد الثالث للعب، الاتصال والاختراع، وعليه كل هذه التكنولوجيا الإعلامية والمعلوماتية هي في اتحاد ليتشكل لدينا عالم جديد وقارة جديدة ألا وهي ولادة نص جديد وتفاعل جديد للإنسان ضمن الشبكة العالمية. فالافتراضية ليست عالما مزيفا وخياليا، وإنما على العكس ديناميكية العالم العادي الذي يتقاسم الإنسان (الشباب) بفضلها ومن خلاله واقعا معينا مع الآخر، فالفضاء السيبري هونص وأن وجود الإنسان هونص من بين النصوص الأخرى، فالأنترنت مكان ذو الخصائص الإنسانية والذي تتم التشكيلات الثقافية في إطاره مكوّنة مجالا تتنوع وتتداخل فيه التصورات والانتظارات، حيث يغوص الإنسان في

فضاء سيميولوجي ويصبح هونفسه جزء منه، ذلك لأنه فصل الإنسان من فضاءات اللغات والعلامات والرموز هو أمر مستحيل القيام به في فلك السيميولوجي الذي يحيط بالإنسان هو الذي يسمح له بالتفكير في واقعه الافتراضي بطريقة غير متعارضة. ففضاء الكتابة يمثل لعبة متبادلة بين المعدات وتقنيات استخدامها فتتيح شاشة الحاسوب فضاء جديد للكتابة مزودا بمميزات خاصة إذ يستطيع الممارس أن يغير بسرعة كبيرة مضامينها وأن تشكل فضاء للكتابة يتبدل ويتغير حسب رغبة المستخدم، كما يستطيع الممارس الجمع بين الكلمات والصور في ذات الفضاء النصي ولعل هذه المعدات في مجملها تمثل التغير السوسيوالثقافي وتقني في التاريخ المعاصر للإنسان.

ان النموذج الاتصالي الجديد هونسق من الاعتقاد والإيمان في هذه التقنية، حيث الواقع الافتراضي أصبح واقعا أسطوريا، والوجود في الفضاء السيبري يشكل لحظة انسلاخ واقعي والدخول في لحظة التعايش والتفاعل مع الصورة والكتابة والرموز التي تشكل دلالة للمتلقى، إنها سبرانية العلاقات في فضاء تشكلت فيه قبائل رحالة بهويات جديدة بإنتاج صقوس في هذا المكان العمومي الجدي.

المراجع الأجنبية:

- 1-ADORNO (T.W), (1963) , L'industrie culturelle, in: communication, N4, Paris.
- 2-ALAIN (G), (2002), Le virtuel au quotidien, Paris , Ed Circé.
- 3-BENEDIKT (1991), Cyberspace, First Steps, Massachuset Institute of Technology, U.S.A.13
- 4-DE ROSNAY (J), (1995), L'homme symbiotique, Ed Seuil, Paris.
- 5- EDWARD (H), (1969), The hidden dimension, New York, anchor books.
- 6- GERGEN (K), (1984), psychologie sociale, Montréal, Ed des études vivantes.
7. HEIDEGGER (M), (1962), Chemin qui ne mènent nulle part –paris, Ed Gallimard.
- 8-HARVEY (P.L), (1995), Cyberspace et communauté, Québec, les presses Université-Laval.
9. LEVY (P), (2000), World philosophy, Paris Ed odil Jacob.
10. MAFFESOLI (M), (1998), Le temps des tribus, Méridiens Klincksieck, Paris.
11. SERRES (M), (1996), Atlas, Paris, Ed, Flammarion.
12. VIRILIO (P) (1988), La machine de vision, Paris, Ed Galilée.
13. VOLTON (D), (1997), Penser la communication, Paris Ed Flammarion.

المراجع العربية:

14. أدونيس (2002)، موسيقى الحوت الأزرق (الهوية، الكتابة، العنف)، ط1، بيروت، لبنان، دار الآداب للنشر والتوزيع.
15. عطوف محمد ياسين، (1971)، مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، بيروت، دار النهار للنشر.
16. مارتن هايدغر، (1995)، التقنية - الحقيقة - الوجود، ترجمة محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح، - الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي
17. فؤاد حيدر، (1994)، علم النفس الاجتماعي، ط1، بيروت، دار الفكر العربي.